البديل

تصدر عن الهيئة الإعلامية المستقلة لدعم الثورة السورية

العـدد (٤٢) ٢٠١٢/٦/٢٤ | حرية ★ عدالة ★ مواطنة | www.al-badeel.net 24/6/2012

تركيا ترتبك بعد إسقاط طائرة مقاتلة لها..وأنان يغازل إيران

٦٠٥ شهداء في ذروة جنون النظام من الهزيمة

ارتفعت حصيلة شهداء سوريا الأسبوع الماضي لتصل إلى مستويات ما قبل دخول بعثة المراقبين الدوليين حيث استشهد نحو ٦٠٥ شهداء في العمليات العسكرية المتواصلة من جانب القوات الموالية للنظام ضد معاقل الثورة في ذروة جنونه من المكاسب التي يحققها الثوار.

وسقط غالبية الشهداء في قصف بالصواريخ والدبابات، حيث يحاول النظام تكرار سيناريو بابا عمرو مع أحياء حمص القديمة، عبر قصفها جواً وبراً، ما أسفر عن انهيار عشرات الأبنية السكنية، وفشل الصليب الأحمر الدولي مرتين من الدخول إلى تلك الأحياء، بسبب رفض القوات الموالية للنظام إيقاف القصف، وإفساح المجال لإجلاء الأهالي. ورداً على تصاعد الحراك الثوري في ريف دمشق ارتكب النظام عدة مجازر في مدينة دوما بريف دمشق، وقام بتسوية أجزاء منها بالأرض. فيما انتقل ثقل الحملة العسكرية يوم السبت إلى دير الزور، حيث استشهد فيها أكثر من ٦٠ مواطناً.

ورغم حملة النظام العسكرية حافظ الثوار على زخم مظاهراتهم، وخرجوا في ٧٣٩ مظاهرة في جمعة «أين الشعوب؟»، واستخدمت قوات الأسد المدرعات للمرة الأولى لإيقاف زحف المتظاهرين إلى ساحة سعد الله الجابري في حلب. وفي تطور لافت، نفذ العقيد حسن مرعي حمادة عملية انشقاق ناجحة، حيث هبط بطائرته الحربية من طراز «ميغ٢١» في قاعدة الملك حسين الجوية، طالبا اللجوء السياسي من السلطات الأردنية في أول انشقاق من نوعه.

إقليمياً، ساد ارتباك لدى القيادة التركية بعد إسقاط قوات النظام طائرة عسكرية تركية دخلت إلى المياه الإقليمية السورية، إلا أن أنقرة حاولت امتصاص مفاعيل الأزمة عبر تصريح الرئيس التركي عبد الله غول الذي برر بشكل غير مباشر اسقاط الطائرة بقوله: «إنها ربما قد دخلت المجال الجوي السوري».

دولياً، فتح المبعوث الأممي العربي المشترك كوفي أنان باب الحل في سوريا أمام إيران عندما دعا إلى إشركها في جهود حل الأزمة، متجاوزاً بذلك الرفض الغربي لهذه الخطوة، وأعلن أنان أن إيران «يجب أن تكون جزءا من الحل» وحذّر من «مستقبل أسود» لسوريا كلما طال الانتظار.

وقال وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف أن دمشق مستعدة لسحب قواتها من المدن والبلدات بالتزامن مع المسلحين، ودعا النظام إلى بذل المزيد من الجهد لتطبيق خطة أنان، ملمحاً إلى أن خيار رحيل بشار الأسد يجب ان يمر عبر «انتخابات نزيهة». وبشأن تسليح المعارضة، أعلن وزير الدفاع الأميركي ليون بانيتا عدم تأييده لذلك لأن «الوقت غير ملائم».

سورية والصراع الدولي

بات في حكم المؤكد أن المواقف الدولية تجاه الثورة السورية لم تعد محكومة بعدالة هذه الثورة، وحق السوريين في إنهاء حكم الاستبداد، والتحول نحو الديمقراطية، وإنما برغبة جميع اللاعبين الدوليين في إعادة رسم النظام الدولي انطلاقاً من مواقفهم تجاه سورية، وأياً تكن مواقف الدول الكبرى من الثورة السورية فإنها غير معنية بحقوق ومطالب السوريين، بقدر ما هي معنية بمعالجة أزماتها وتحقيق تطلعاتها الدولية من بوابة الصراع على سورية المستقبل.

لقد قدّمت بعض بلدان الخليج العربي الكثير من المغريات لروسيا من أجل تغيير موقفها من النظام السوري، لكن روسيا لم تكترث بكل ما قُدّم لها، وهو ما يؤكد بأن دعمها للنظام يتجاوز في العمق مسألة دعم النظام من أجل مكاسب مالية كما كان يروج في بعض الإعلام العربي والغربي، وهو بل هو مسألة استراتيجية دولية، وهو محاولة لكسب مواقع متقدمة على خارطة السياسة الدولية، واستعادة جزء كبير من نفوذها في ظل المشكلات المالية التي تعصف بالكثير من البلدان الأوروبية، مثل اليونان (على وشك الإفلاس) والبرتغال، وإسبانيا، والعودة إلى المشهد الدولي كلاعب ثانٍ إلى جوار الولايات المتحدة الأمريكية.

إيران هي الأخرى تستمر بدعمها اللامحدود للنظام السوري، وهي دولة مناورة سياسياً، وترغب أن تحل مشكلاتها مع الغرب من خلال البوابة السورية، وذلك بإطالة أمد الصراع في سوريا، وتحويل الأنظار عن ملفها النووي قدر الإمكان، وتلقى في هذا المسعى دعماً روسياً قوياً.

الموقف التركي يبدو في أسوأ حالاته، وفي حيرة بين رغبته في التدخل وبين رفض الغرب لهذا التدخل، وقد تلقى ضربتين في الوقت نفسه، حيث صعّد حزب العمال الكردستاني أعماله ضد أنقرة في الآونة الأخيرة، وأسقط النظام له طائرة، ورغم ذلك فقد أتت تصريحات سياسيه مرتبكة، ولم تكن حازمة تجاه النظام السوري.

إن سوريا اليوم تتحول مع كل ساعة جديدة إلى ساحة مفتوحة للصراع بين الدول العالمية والإقليمية، ومنها بعض البلدان العربية، وقد يكون من مصلحة كل تلك الدول ترك الصراع مفتوحاً، طالما أن ما من قوة قادرة على حسم الصراع، وفي نهاية المطاف فإن من يدفع فاتورة الدم هو الشعب السوري، بينما تتحول قضية شعبنا إلى سوق للمزايدات السياسية، وحروب بالوكالة، وهو ما يجب أن يدفع قوى الثورة والمعارضة إلى التوحد في أسرع وقت، واليوم اليوم وليس غداً.

ملاذ البحري

الغموض يلف مصير ٧٠ ألف معتقل ومخطوف على يد قوات الأسد

تجارة الأعضاء البشرية تزدهر على يد النظام..وإيران هي الوجهة الأولى للتصدير

حلب-«البديل»

جريح في مستشفى ميداني

ألقى عناصر كتيبة شهداء حلب «لواء صقور الشام» القبض على الممرض باسل منصور من مواليد ١١-١-١٩٨٩بلدة صافيتا، وكان يتنقل بين مشافي الوفاء والعسكري والجامعة بحلب، وأجروا معه تحقيقاً شاملاً بتاريخ/٣١/٥/ ٢٠١٢، حيث جاءت اعترافاته - إذا ثبتت صحتها- تشخيصاً لسلوك ممنهج لأجهزة النظام حيال المحتجين والجرحى في مدينة حلب والمناطق الأخرى.

وهذه الاعترافات ليست هي الأولى من نوعها لكنها أكثر شمولية، وتكشف حيثياتها استراتيجية مدروسة يتبعها النظام في قمع الثوار، وتثبت تفاصيلها صدقية روايات النشطاء وأهالي المنكوبين والمنظمات الحقوقية والإنسانية. ولا تخلو تلك الشهادة من فظائع لا يتخيلها بشر بحق العديد من المعتقلين.

يستهل باسل المتخرج من مدرسة تمريض حلب اعترافاته بأنه: «تورط بقتل المتظاهرين من الشباب والشابات الذين تمّ اعتقالهم في حلب، وبعض المدن الأخرى، مثل مدينة إدلب، وحماة، وريف حلب». ويضيف :»ثم تأتي أفرع الأمن الجوي والسياسي و الدولة بالشباب والشابات من المدنيين المتظاهرين إلى المشافي المذكورة، ويتم تصفية الكثيرين عن طريق حقنهم بإبر الكالسيوم».

وعند العودة إلى الوراء قليلاً، ونقارن هذا السرد مع ما قالته الممرضة محاسن سليمان صالح أمام سرية المهام الخاصة التابعة للجيش الحر بخصوص المشاركة بالقتل وتصفية الجرحى والإيقاع بالأطباء أثناء عملها في مشفى بحي باب السباع في حمص منذ شهور عدة، نصبح أمام خطة معدة أمنياً ومنفذة طبياً، ويضاف إليها العديد من شهادات أطباء الثورة والمنظمات الإنسانية. هذه الممارسات من أهم العوامل التي جنبت الثوار والجرحى منذ بداية الأحداث الذهاب إلى المشافي الحكومية والخاصة، وقاموا بإنشاء المشافي الميدانية البديلة بوسائل تقليدية صرفة التي تعاني من نقص حاد في الأدوية والكادر الطبي.

ويقول باسل الذي يحمل هوية عسكرية ذات الرقم /١٥٠٣٠١/ والرقم العسكري/٤٧١٧٣٩/ في معرض اعترافاته أنهم كانوا «يشرّحون الأجسام، ويأخذون أعضاءهم للجرحى العسكريين الموالين للنظام، وخاصة المنحدرين من معاقل الشبيحة، كما يتم نقل جثث كاملة إلى إيران من أجل أخذ هذه الأعضاء واستعمالها لمرضى إيرانيين».

هذا الكلام يفتح الباب على مصير المخطوفين والمسجونين الذين يبلغ تعدادهم أكثر من ٧٠ ألف حسب المنظمات الحقوقية والإنسانية، وإلى هذه اللحظة ما زال الغموض يكتنف مصيرهم. والأرجح أن نسبة منهم قد تمت تصفيتهم، وسرقة أعضائهم للمتاجرة بها لا سيما وأن الكثير من الأهالي استقبلوا جثامين أبنائهم غير كاملة، وغالباً ما كانت من دون الأكباد والكلى، ويدعم هذا الرأي تقارير حقوقية دولية وصفت النظام من بين أسوء الدول متاجرة بالأرواح. أما رواية نقل الجثث إلى إيران، فقد فسره البعض بأنه بمثابة غنيمة تقدم للمرضى العسكريين الإيرانيين، وهذا ليس غريباً طالما تتحدث بعض المصادر الخاصة أن ضباطاً إيرانيين يتجولون علناً بين النوادي الأمنية والعسكرية بدمشق، ويحركون خيوط اللعبة السورية كما يشاؤون، هذا بصرف النظر عن تورط عناصر فيلق القدس في قمع الثورة حسب بعض التقارير الميدانية.

لكن الأمر لم يقتصر على المدنيين فقط، فقد أفاد الممرض باسل منصور أن :»المئات من العسكريين ضباطاً وأفراداً من الذين يتم القبض عليهم في صفوف الجيش والثكنات العسكرية وكلهم من السنة لمجرد الشك في انشقاقهم، يحالون فوراً إلى فروع المخابرات في مدينة حلب، وبعد التحقيق معهم وتعذيبهم يتم نقلهم إلى المستشفى العسكري وهناك يتم قتلهم عن طريق حقنهم بإبرة الكالسيوم، وبعدها يتم ترحيل كافة الجثث إلى إيران».

هذه الاعترافات تسلط الأضواء على قضية كانت تشغل بال المعارضة والقوى الثورية، والتي تتلخص في استخدام أشلاء الثوار والمخطوفين والجرحى في تنفيذ العمليات التفجيرية، وهذا ما أكده باسل ضمن سياق كلامه قائلاً :» بعد أخذ ما يلزم من الأعضاء اللازمة يتم جمع الأشلاء الباقية في أكياس سوداء لاستعمالها في تفجيرات يقوم بها النظام».

ويؤكد باسل تصرفات القيادة العسكرية والأمنية حيال العسكريين من الطائفة السنية، ويدحض حجة النظام بأن الجيش الحر وجماعات مسلحة هي من تستهدف كل الضباط المقتولين خلال المواجهات مع المنشقين، حيث يقول إن بعض «العسكريين السنة من الضباط والأفراد الذين يقاتلون مع كتائب الأسد ويصابون بجروح متوسطة وخطيرة يتم الاجهاز عليهم أيضاً عن طريق حقنهم بإبر الكالسيوم لتصفيتهم ونقلهم لإيران بسبب طول المعالجة وتكاليفها».

ويختم باسل منصور كلامه أنه تم اغتصاب الكثير من الشابات اللواتي تظاهرنّ من جامعات حلب، فضلاً على أنه تم تصفية معظم المعتقلين من الجامعة بالطريقة نفسها ، وأنه لم يتم تسليم أي من جثامين الشهداء لأهاليهم الذين لايعرفون أن بناتهم وأولادهم قد تم قتلهم ونقلهم لإيران. وما يستشف من ما ورد ذكره أعلاه، أن أقبية سجون النظام لم تعد تمارس فقط فيها فنون التعذيب المعروفة وهواية الانحطاط بكرامة البشر على يد عناصر الأمن، بل تحولت السجون إلى حديقة خلفية تحاكي ما يجري في الخارج من جرائم القتل، والاغتصاب، وارتكاب المجازر، وانتهاك الأعراض، والمتاجرة بأجساد الثوار والمنتفضين، وتوزيع «الغنيمة» مع الحليف الإيراني.

نحو خارطة طريق لتوحيد المعارضة السياسية

«المؤتمر السوري» لتجاوز الانقسامات وتشكيل بديل لمرحلة ما بعد الأسد

القاهرة – «البديل»

تقيم قوى المعارضة السورية أوائل شهر تموز المقبل مؤتمراً لها في العاصمة المصرية القاهرة من أجل وضع خارطة طريق للتوحد في جسم سياسي يضم في داخله كل أطياف المعارضة السورية، بما في ذلك المجلس الوطني السوري، وتم اقتراح تسمية أولية لهذا الجسم السياسي الجديد، وهي «المؤتمر السوري»، ويأتي هذا المؤتمر برعاية من جامعة الدول العربية، وقد تم تشكيل لجنة من شخصيات معارضة ووطنية مهمتها التحضير لأعمال المؤتمر، وهي مكونة من ١٥ شخصية تنتمي إلى تيارات الحراك المختلفة، وتلك الشخصيات هي سمير العيطة، والدكتور وليد البني، وريما فليحان، ووليد الزعبي، والدكتور أيهم حداد، وكاميران حاجو، وسالم المسلط، وعقاب يحيى، و(ع . د) ، وشادي الخش، ومعتصم السيوفي، وعبد الكريم آغا، وخالد الناصر، وعبد الأحد اصطيفو، ونذير الحكيم.

وجاء في أهداف هذا المؤتمر بحسب الورقة الأولية التي وزعت على القوى المعارضة واستلمت «البديل» نسخة عنها أن « غاية هذه الخارطة هي توحيد رؤى كافة القوى التي تريد الوصول إلى توحيد المعارضة ويَعون الأهمية التاريخية هذه الخطوة. وفي الوقت نفسه تدوين الخارطة يساعد على توضيح الأفكار وتحديد الأهداف وتوحيد الحركة». وأتى في الورقة ما يوضح هذه الخطوة باعتبار جزء منها قائم على الفشل الذي واجه المجلس الوطني السوري في إدارة ملف الثورة السورية، وعدم قدرته على تحقيق النتائج المرجوة من وجوده، وبالتالي فإن هذه الخطوة هي محاولة لكسر احتكار بعض القوى للمجلس الوطني الذي يرى الداعون للمؤتمر بأنه لا يمثل سوى قلة قليلة من المعارضة السياسية، وتحديداً الإخوان المسلمون وبقايا إعلان دمشق « القائمون على المجلس الوطني رفضوا ويرفضون بكل قوة أي توسيع حقيقي للمجلس ليصبح جسم يمثل الثورة السورية بشكل واقعي، فالقوتين الصغيرتين اللتين تشكلان المجلس (أخوان مسلمين وبقايا إعلان دمشق) لا تشكلان معاً سوى جزء يسير من المعارضة، وهما تريدان استمرار هذا الوضع الاحتكاري الذي يقدم لهما مكاسب شخصية وسياسية، وخاصة لأعضاء المكتب التنفيذي. أي أن هاتين القوتين الصغيرتين وقيادتيهما تقدمان المصالح الحزبية والشخصية الضيقة على مصالح الشعب السوري حين ترفضان بإصرار أي توسيع فعلي للمجلس يمس بوضعهما الاحتكاري».

وبناء على الرؤية التي يتبناها المؤتمر المزمع عقده فإن توحيد المعارضة السورية من شأنه أن يدفع الدول الكبرى إلى اتخاذ مواقف أكثر حزما ضد النظام السوري، وأن يجعلها تتخلى عن مخاوفها المتمثلة في غياب البديل السياسي في مرحلة ما بعد بشار الأسد» وقد أصبح وضع المعارضة السورية هذا مدعاة لسخرية القوى الدولية وازدراء الشارع السوري. ويلحق هذا الوضع الأذى الشديد بالثورة لأن توحيد المعارضة يشجع المجتمع الدولي على اتخاذ مواقف أكثر حزماً ضد الأسد ونظامه، وقد عبر عن هذا بصراحة ولمرات كثيرة جداً. ولا يوجد من هو أكثر سروراً من بشار الأسد باستمرار هذا الوضع. لذلك فإن تغيير هذا الوضع يشكل خدمة كبيرة للثورة».

أما الهيئات المقترح أن يتم تشكيلها فهي «مكتب قيادة المؤتمر الوطني السوري» ويتكون من ١١ شخص مفرغين مقيمين في المكان نفسه، ومكاتب المؤتمر النوعية ويرأس عضو مكتب تنفيذي أحد المكاتب، ويكون في كل مكتب بين ٣ و ٥ أفراد مفرغين مع ثلاثة آخرين غير مفرغين، ومجلس المؤتمر الذي يتكون من ممثل واحد عن كل تنظيم مع بعض الشخصيات الوطنية تجتمع كل شهر، و المؤتمر بجميع أعضائه (نحو ٢٠٠) ويجتمع كل ستة اشهر.

وفي اتصال أجرته «البديل» مع الدكتور وليد البني يوم الجمعة الماضي قال: «إن اللجنة التحضيرية تعكف الآن على وضع خارطة لجميع القوى السياسية السورية في الداخل والخارج، وسيحضر المؤتمر حوالي مائة شخصية تمثل التنوع السياسي الموجود في سوريا، ويسعى المؤتمر لوضع صيغة توحيدية للمعارضة، وذلك من أجل تجاوز المشكلات السابقة التي أعاقت عملها، ولن يكون هناك استثناء لأي طرف من الأطراف، وتشكيل المؤتمر السوري سيسحب الذرائع التي تتحجج بها بعض الدول حول انقسام المعارضة السورية».

الشهيد أحمد حمادة..صيّاد الصواريخ والنافذة التي تطل على الجريمة

قسم التوثيق–البديل

كانت قطعة الزجاج المكسورة وهي تهتز لدى ارتطامها بالأرض خاتمة رحلته في تصوير وقائع الثورة في حمص، حيث قدّم مكتبة فيديو حقيقية وثق فيها أبرز الانتهاكات الوحشية التي قام بها النظام.

الشهيد أحمد حمادة (أبو حميد) هو مراسل شبكة أخبار الثورة في بابا عمرو، لم يظهر في الاعلام المرئي مطلقاً، والتزم العمل بصمت وهدوء. غالباً ما كان يصور من نوافذ منازل تطل مباشرة على جرائم نظام الأسد، وبَرع في اختياره لزوايا التصوير، ويستحق معها لقب «صياد الصواريخ»، ومنها تصويره لحظات انهيار مبنى كامل تحت قصف القوات الموالية للنظام في السادس من حزيران ٢٠١٢. في ذلك المقطع بقي حمادة يصور بعد انهيار المبنى غير مصدق اختفاء الطوابق السكنية العالية من كادر كاميرته، وكلماته التي كانت ترافق المشاهد التي يصورها (حسبي الله ونعم الوكيل..الله أكبر عليك يا بشار) كانت تحمل نبرة الصدمة، وهذه النبرة الصادرة بفعل التأثر المباشر بالأحداث هي التي كانت تجعل من مشاهد الدمار غير جامدة. ولدى مراجعة المقاطع التي قام بتصويرها وعددها يتجاوز الـ٥٠٠، كان تقطع أنفاسه أثناء التصوير أحد الأسرار الخفية التي جعلت تأثير الدمار مدوياً على ملايين المتابعين عبر القنوات الفضائية.

استشهد أحمد حمادة بتاريخ ١٦ /٦/ ٢٠١٢ برصاص قناص، عندما كان يحاول انتشال الشهيد عبد الهادي القومقلي في باب تدمر بحمص القديمة، ووثّق معظم عمليات القصف التي تعرض لها حي بابا عمرو، ووثّق مجزرة الشماس التي راح ضحيتها ٢١ شهيداً.

ولد حمادة عام ١٩٨٦ في بلدة القمحانة بريف حماة، وعاش كل حياته في حي بابا عمرو بحمص. وهو خريج معهد هندسي (قسم المساحة)، اضطر للعمل كحلاق في بابا عمرو بعد يأسه من إيجاد فرصة عمل في مجال تخصصه، خاصة أنه كان معتاداً على العمل مذ كان في الصف الثالث الابتدائي، وتحديدا خلال العطلة الصيفية. التحق بالثورة كمتظاهر، ثم ما لبث ان تفرغ للعمل مصوراً وموثقا لجرائم النظام في باباعمرو. من نشاطاته الأخرى تلوين مجسم الساعة التي نصبت في ساحة التظاهر في باباعمرو، وهو من رسم كلمة «باباعمرو» بالشموع في الساحة، وألبس فريقه من المتظاهرين كنزات كتب عليها «باباعمرو نبض الثورة». خطط لرسم شخص يرفع بيده إشارة النصر مع كلمة «هنا باباعمرو» على جدران الحي ولكن الحملة العسكرية حالت دون أن ينفذها. وروى أحد أصدقائه أن الشهيد حمادة بعد ما تهجّر من باباعمرو وصور كل معاركها تحت الهاون والصواريخ، توجّه إلى الوعر، وثم انتقل إلى الشمّاس، وبعد فترة قصد حي الخالدية، حيث وجد فيها «بيئة بابا عمرو»: تصوير تحت القصف.

الشهيد أحمد حمادة

قال عنه أنور مالك، المراقب الجزائري الذي انسحب بعد رؤيته للمجازر في حمص: «لما بلغني خبر استشهاد المصور أحمد حمادة ذرفت عيوني، وأنا أذكر اليوم الذي رافقنا إلى حاجز كفر عايا واختراقه لمنطقة تحت أعين القناصة، فعدت إليه طالبا منه الانسحاب حتى لا يقتل فردّ علي بالحرف الواحد: «لا تقل أقتل بل استشهد.. وهؤلاء الجبناء لو يعرفون ما يمنحونه لنا عند القنص ما قتلونا من شدة كرههم لنا». قبل أن تطاله رصاصة القناص بيومين، قال الشهيد: «يومان وأعود إلى بابا عمرو». وفي الموعد المحدد، ظهر شريط فيديو لجنود الجيش الحر وهم يسجدون في بابا عمرو..لكن حينها كانت الزجاجة المكسورة قد ظهرت في مقطع الفيديو الأخير لـ«صياد الصواريخ».

الأثاث الثوري

أجهش الرجل الستينّي بالبكاء بعد أن قصفت كتائب الأسد منزله في مدينة الرستن. كانت بعض فناجين القهوة محطمة وطاولة صغيرة تهشّم سطحها، وتناثرت قطع إسمنتية صغيرة ومتوسطة على سجادة حمراء عليها أشكال هندسية.

هذا المشهد نتج عن فعل بربري ارتكبته قوات الأسد، وهو يتكرر يومياً في مئات المنازل والمباني التي تسقط عليها قذائف تمّ شراؤها من عرق جبين السوريين ليحميهم يوماً من غدر عدو تبين أنه حليف من يطلق الصواريخ على منازلهم اليوم. لكن للمأساة عدة وجوه، حيث أن إعادة تدوير مشاهد أثاث المنازل المهدمة يضعنا أمام صورة فنية استثنائية عن كيفية توزيع السوريين لعناصر لهذا الأثاث.

إن الفنون ليست نتاج السعادة والاستقرار فقط، فالمآسي تنتج معها فنونها أيضاً. وما كان العالم سيحتفي بسوريالية سلفادور دالي التشكيلية و لويس بونويل السينمائية من دون الكوارث التي شهدها العالم من الحرب العالمية الأولى إلى الأزمة الاقتصادية نهاية العقد الثالث من القرن الماضي، والمجاعة التي ضربت مناطق واسعة وما رافقها من تحلل للقيم. والثورة السورية بالمآسي التي تشهدها تختزن مدارس فنية واعدة تنتظر فقط من يلتقط مادتها ويبدأ بها. فمن الممكن جداً مثلاً أن يتم تنظيم معرض فني للصور الفوتوغرافية التي التقطها الناشطون من داخل منازل السوريين، أو تلك التي يتم قصّها من مقاطع الفيديو، حيث سنجد أنفسنا أمام نماذج من منازل صغيرة تعج بالأثاث الخشبي في وسط وشمال سوريا (أرياف ومدن حلب وحمص وإدلب وحماة) مع نوافذ كبيرة منخفضة، وأخرى صغيرة قرب السقف تستخدم للتهوية في الصيف، ولشفط دخان السجائر في الشتاء، وتكون غرفة الضيوف هي الأكثر سعة واعتناء. وفي المناطق الشرقية كشف لنا القصف عن منازل تهتم بالأثاث الأرضي كالبسط المنسوجة من الصوف والسجاد والحصير أكثر من الأثاث القائم (خزانات الكؤوس والملابس) باستثناء خزائن مستطيلة منخفضة تسمى باللهجة المحلية (محمل) وتكون وظيفتها الأساسية وضع الفراش غير المستخدم عليها. أما الألوان المستخدمة في طلاء الجدران فيغلب عليها الأبيض في مناطق الأرياف الشمالية والوسطى، فيما لا تزال الكثير من بيوت المنطقة الشرقية مطلية بلونين ليس الأبيض من بينهما.

هذه عينة من الانكشاف المنزلي الذي كان سببه القصف الوحشي، وهذا الانكشاف في الحقيقة يمكن الاستفادة منه بما يفيد في سياق عملية إعادة بناء النسيج الاجتماعي، لأنّ التقاط الفنون للجماليات المكانية في التوزيع العفوي لأثاث المنزل تمثل «لحظة اكتشاف» في غاية الأهمية، فالتمايزات الاجتماعية بين السوريين موجودة، وكذلك وحدة الأثاث الثوْري للسوريين.

سردار جان

بورتريهات لأطفال بين مخلفات الدمار وبقايا «الهاون»

أنجزت الثورة السورية أرشيفاً هائلاً من الصور التي وثقت لمجازر النظام، وهي تعكس وحشية النظام في تعامله مع الثورة، وقد أتت الكثير من الصور لتبرز مشاهد ما بعد القصف، وهي مشاهد تؤكد تفوق الحياة على كل محاولات القتل والتدمير، ومن بين تلك الصور واحدة لطفل يلهو بقذيفة هاون بإحدى يديه، بينما يحمل في يده الأخرى زجاجة الحليب «البيرونة»، وهو يبتسم، بينما تبدو في الصورة نفسها أقدام أطفال آخرين.

الطفل في الصورة التي تحدثنا عنها ليس الوحيد الذي وجد نفسه أمام بقايا ومخلفات الدمار من دون أن يدري ما معنى كلمة قذيفة، وما معنى أن تكون تلك القذيفة في داخل واحدة من غرف بيته، أو في الحديقة، أو أمام المنزل، إذ وجد الكثير من الأطفال السوريين أنفسهم أمام حالات لم تكن واردة في قاموس حياتهم، مثل حياة المخيمات كما في تركيا والأردن، ومعنى أن يعيش الطفل لاجئاً، وتظهر الكثير من الصور الملتقطة من داخل المخيمات استمرار الأطفال في ألعابهم، لكن أكثر تلك الألعاب استقطاباً لهم هي لعبة التظاهر، حيث لا يكفون عن الترديد :«الشعب يريد إسقاط النظام»، و«الشعب يريد إعدام الرئيس».

طفل في أحد أحياء حمص القديمة التي دمرها النظام يحمل قطة بين يديه، بينما تقف أخته بجواره، وهما سعيدان بملاطفة القطة، واستسلامها لمداعبتهما، تلك القطة التي نجت من الموت كما نجا الطفلين.

صورة أخرى تبرز فتاة وفتى يستحمان في حفرة خلفتها قذيفة، حيث انفجر أنبوب الماء الموجود تحت الأرض، فاستثمرت الفتاتين وجود الماء في الحفرة فراحتا تستحمان به، حيث أصبح وجود الماء في بعض الأماكن أمراً يشبه المعجزة.

إنها صور لأطفال من سوريا التي يحكمها نظام وقّع سابقاً على اتفاقيات حماية الطفولة، لكنه لم يترك حتى الشجر والحجر ينجوان من قصفه، فما بالنا بالأطفال.